عروبة الشيعة العرب: العلاقة المعطوبة

محمد الصادق

ترتفع الأصوات اليوم بالحديث عن الأمة العربية، وعن ضرورة وجود مشروع عربي، يستطيع صدّ الهجمة الشرسة التي يتعرض لها أوطاننا من قبل قوى قومية منافسة، ومعادية في بعض الأحيان، كان أكثرها تجلياً الاحتلال الصهيوني لأرض فلسطين، ثم الاحتلال الأمريكي للعراق.

في البداية لابد من طرح السؤال التالي: هل العروبة حاجة استراتيجية ملحة أم ضرورة تكيتية لمواجهة المشروع الإيراني الذي يشكل أكبر تحد لبعض الدول العربية؟ كل الحقائق و الوقائع تقول لنا، أن التعامل مع مشاكل الاقطار العربية كمشاكل ثانوية، لا تهمنا ولا تؤثر فينا بشكل مباشر، دائماً يثبت لنا العكس، فتنعكس علينا وعلى استقرارنا، شئنا ذلك أم أبينا. تجاهلنا العراق بعد الاحتلال، فأتى الإيراني بعدته وعتاده ليستقر فيه كلاعب رئيسي. نسينا اليمن بعد الثورة، فصحينا على انهيار شامل للدولة اليمنية.

لا أريد اليوم الدخول في سرداً تاريخي لقضايا الأمة التي تم تجاهلها، أو أعتبارها شئناً داخلياً لا يعنينا، ثم ما نلبث حتى نكتشف، إننا أكثر من تضرر لهذه اللامبالاة. بعض السذج يعتقدون بأن القومية موضة قديمة عفىء عليها الزمن، في حين إن الصراعات الدولية هى صراعات قومية دائماً. في البلقان كانت الصراعات قومية، وفي أوكرانيا الصراع قومي، ومع الاحتلال الصهيوني، وكذلك التحدي الإيراني والتركي.

نحن نحتاج للقومية العربية أكثر ما هي تحتاجنا. هذه حقيقة، تتجلى في تعريفنا للأمن القومي، إذا كانت البحرين واليمن ومصر وسوريا والعراق ضمن أمننا القومي، فلا شك أن ليبيا أيضاً ضمن هذا النطاق، وإلا كيف نفسر تأثير انفلات الوضع الأمني في ليبيا وتأثيره على تدفق السلاح والمقاتلين لتنظيم داعش على الساحة السورية والعراقية.

القومية العربية هويّة. والهوية كما يعرف الجميع لها وظائف، فهي تعطينا خدمتين جليتين: على مستوى الخارجي و القوميات الأخرى، هي التي تحدد لنا من الصديق، ومن العدو، من خلال تقييم المشاريع المقابلة لقوميتنا، وإذا ما كانت تخدم مصالح الأمة العربية، أم تضر بها. نحن لا نستطيع تغيير الجغرافيا

السياسية، وإبعاد إيران أو تركيا من حدودنا، لكننا نملك متى ما أوجدنا مشروعاً عربياً أن نحتضن أفراد مختلفين المذاهب والأديان داخل دولنا، كي نحصنها من اللتحاق بركب مشاريع الأخرين.

على المستوى الداخلي، الهوية العربية تعيد تعريف المواطن على أساس عروبته ومواطنيته وليس على أساس انتماءه المذهبي أو الديني، فالدولة يجب أن تتعامل مع مواطنيها كأفراد، أحرار و مستقلين، لا رعيا طوائف، و لا كجزء من جماعة مذهبية.

في الختام، كل قراءة جدية للتاريخ تهبنا دلال إضافية، بأن الصراعات الدولية هي صراعات قومية، وحين إننا جزء من أمة، فلابد من تحصين هذه الأمة من خلال مشروع قومي استراتيجي حقيقي، يتشارك في صياغته جميع المعنين والمؤثرين، ولأن طبيعة المشاريع الاستراتيجية تحتاج لوقت وجهد فلابد من العمل على وضعها على قائمة أولولياتنا.